

هَادِي الْمُدَرِّسِي

نَقَدُ

النَّظَرِ فِي الْمَأْرُوسَةِ

دار البياض العربي

نقد
النظرية اللغوية



هَادِي الْمُدْرَسِي

نَقْدُ
النَّظَرِ فِي الْمَنَاسِكَةِ

دَلِيلُ الْبَيِّنَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

صَدْرَ بَيْتٍ : ١٥٥٢٣٩

بَيْرُوت - لُبْنَان

حُقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثانية
منقحة ومزينة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

أيها الرفاق : تواضعوا قليلاً !

الماركسيّة ليست شيئاً واحداً :

فهناك « النظرية الماركسيّة » .

وهناك « الأنظمة الماركسيّة » .

وهناك « الثورة الماركسيّة » .

والذي يهّمنا هنا ، ليست الأنظمة الماركسيّة ولا الثورات الماركسيّة ، وإنما الفكر الماركسي ، أي ، الأسس الفلسفية التي تقوم عليها النظرية الماركسيّة .

ونحن إذ نناقش هذه الأسس لنصل إلى نتيجة واضحة هي أن نصيبها من الصّحة قليل ، فلا يعني ذلك أننا ضدّ مواقف الأنظمة الماركسيّة ، في السياسة الخارجيّة ، أو إنّنا ضدّ الثورات الماركسيّة ، التي اندلعت ضدّ الفاشيّة ، أو الامبريالية .

فلسنا مثلاً ضدّ موقف الفيتناميين في ثورتهم على
التدخل الأجنبي في بلادهم ، ولا ضدّ الحصول على
الأسلحة السوفياتية لمحاربة إسرائيل .

تماماً كما أننا عندما نفنّد النظرية الرأسمالية في
الاقتصاد وندين موقف الغرب في استعمار الشعوب ، فلا
يعني ذلك أننا أيضاً ضدّ التكنولوجيا الامريكية ، والتقدّم
العلمي في أوروبا .

إنّ الإتحاد السوفياتي يحارب الرأسمالية الامريكية ،
ويعمل ليل نهار ضدها ، ومع ذلك فإنّه يمدّ يديه إلى أمريكا
ليحصل منها على القمح ، ولتعاون معها في مجال غزو
الفضاء وليشارك معها في مجال الدراسات الطبية .

فالموقف شيء .

والنظرية شيء آخر .

ونحن نناقش النظرية الماركسية ، إيماناً منا بضرورة
البحث عن الحق ، والمناقشة البناءة للوصول إليه - تماماً كما
فعل النبي إبراهيم يوم قال لله تعالى : ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ
تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (١) .

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠ .

﴿قال :- أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ :- بَلَى . وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (١) .

إننا نرفض منطق « الصنمية العقائدية » التي تطلب منك الإيمان بالنظرية ، واعتبارها معصومة من الخطأ .

ونرفض منطق « النرجسية الفكرية » التي تجعلك تنظر إلى نفسك عبر مرآة الزهو والغرور لتعتقد أنك دائماً على حق ، وإن غيرك دائماً على باطل .

إن الماركسية - كما سنرى - تعتمد على المنطق الديالكتيكي ومعطيات النظرية الداروينية ، و« منتجات » أفكار فرويد .

وقد رفض العلم النظرية الداروينية - رغم كل التعديلات التي أجراها عشاقها عليها ، كما رفض أفكار فرويد ، وأثبتت التجارب أن المنطق الديالكتيكي يعتمد على أسس واهية - أفلا يعني ذلك أن علينا أن نفكر مرتين قبل أن نعتنق الماركسية اليوم ؟ .

وللحقيقة : فإن الرفاق لو ناقشوا الجدلية التاريخية المادية على ضوء معطيات القرن العشرين ، وليس على ضوء

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠ .

معطيات القرن التاسع عشر ، لتحققوا مما توصلنا إليه .

ولكنهم مع الأسف لا يناقشونك في « النظرية الفلسفية » إلا عبر المواقف السياسية ! .

فعندما يحاولون إقناعك بالماركسية ، يستعرضون لك المواقف السياسية للحكومات التي تعتمد على الماركسية . ويقولون لك : ألا ترى الاتحاد السوفياتي كيف يساعد العرب ضد إسرائيل ؟ ألا ترى الصين كيف تقف معنا في المحافل الدولية ؟ ألا ترى إلى الكتلة الاشتراكية كيف قطعت علاقاتها بإسرائيل ؟ .

إذن : فالماركسية على حق ، ونظريتها في علم الاجتماع ، والاقتصاد ، والأحياء ، والعلوم ، وحتى في تفسير وجود « الأميا » صحيحة .

ومنطق هؤلاء يشبه إلى حد بعيد منطق ذلك الخبيث الذي يريد إقناعك بالرأسمالية الاقتصادية ، باستعراض المكتشفات والمخترعات في أوروبا وأمريكا . فيقول لك : ألا ترى التقدم الذي أحرزته الولايات المتحدة في مجال التكنولوجيا ؟ ألا ترى كيف أن مركبة أبولو الأميركية قد وصلت إلى القمر ؟ ألا ترى كيف أن كل شركات الطيران تشتري طائرات بوينغ وجامبو الأميركية ، وأن سيارات بونتياك ،

وشفر الأمريكية هي من أجمل ، وأقوى السيارات ؟

إذن فالرأسمالية الاقتصادية على حق . وكل ما يعتقده الأمريكيون في الكون والحياة صحيح !

وينسى هؤلاء : ان المواقف السياسية ، إنما تأتي ضمن الاتفاقات الخاصة ، أو حسب المصالح ، وليس لها ارتباط بالخلفيات التي يؤمن بها الطرفان . والأ لكان لنا أن نطالب الاتحاد السوفياتي ، والصين بأن تعتنقا الإسلام ، لأننا - الطرف الآخر في الاتفاقيات هذه - نعتنقه ونؤمن به . ولماذا العكس ؟ .

وأيضاً : لصحّ للدول الافريقية أن تطالبنا بأن نعتنق خرافاتها ، وأديانها الكثيرة المختلفة ، لأنها قطعت مثلاً علاقاتها بإسرائيل ، وأنها تمدّنا ببعض المواد الأولية : كالفحم ، والحديد ، والفواكه !

لا ..

أيها الرفاق تواضعوا قليلاً ، وتفضلوا معنا ناقش .
فضاولة البحث والتنقيب بانتظاركم . والدعوة مفتوحة بلا ميعاد !

افتحوا نوافذ قلوبكم

« قال القاضي للرجل ، بعد أن استمع إلى كلامه
بإمعان :

- أنت على حقّ مائة بالمائة ، لولا شيء واحد ، وهو
أنّك قد جئت إليّ وحيداً . وسوف لن أصدر أيّ حكم في
هذا الأمر إلا بعد أن أستمع إلى غريمك - المدّعى عليه -
أيضاً .

أمّا قبل ذلك ، فان إصدار أي قرار بهذا الشأن يعتبر
انحيازاً من غير مبرّر ! » .

كم منّا لا يوافق هذا القاضي في موقفه ؟

كلامياً ، ليس هناك من لا يوافقّه ، أما عملياً فان
٨٠٪ منّا يخالفونه مخالفة جذرية ؛ فجميعنا - مثلاً - مرتاح
من المبدأ الذي يعتنقه ، ونظنّ أننا فعلاً على « حقّ » وأن

غيرنا على « باطل » . تماماً كما كان المدّعي يعتقد أنّه على « حقّ » وأن على « القاضي » إقراره في ذلك .

وكما قال المفكر الفرنسي المستر « آرثر » :

« كلّ منّا يريد أن يختار لنفسه ألذّ الأطعمة وأوسع المساكن ، وأحسن المراكز ، وأصدق الاخوان .

ولكن : كم منّا فكّر في أن يختار لنفسه أحسن الديانات ؟ . »

« أنّ معظمنا راضٍ بالدين (أو المبدأ) الذي وجد عليه آباءه ، وفراراً من التعب نترك البحث والتنقيب »^(١) .

مثلاً لو نفرض أن نسبة أن يكون الماركسي على حق دون غيره هو - أكثر التقادير - ٥٠٪ ، وهذا يعني أن نسبة أن يكون على باطل هو أيضاً ٥٠٪ ، وهذا يدعوه إلى أن يبحث مجدداً عن « الحقّ » .

ولكن هل يفعل ذلك ؟ ..

التفتت قبل مدّة برجل كان يدّعي أن الحلّ الوحيد للمشاكل الاجتماعية ، والفردية هو تبني « الماركسية » ، وأن

(١) التكامل في الإسلام ج ٥ ص ١٧١ .

اعتناق أي مبدأ آخر من شأنه أن يعمّق هذه المشاكل ،
ويُكثرها .

وعندما سألته : وهل تقول ذلك بعد مطالعة - مماثلة -
لبقيّة المبادئ والمذاهب الموجودة ؟ . أجاب : ان ماركس قد
طالعها بعمق ، وهو يجبرنا أن كلها فاشلة ، ما عدا المذهب
الديالكتيكي الذي آمن به ، وطوره بنفسه .

قلت : لو فرضنا صدق ما تقول ، ألا تعتقد بأن
الفكر الإنساني قد تطوّر كثيراً عمّا كان عليه في عصر
ماركس ؟ إن عصر ماركس كان لا يزال عصر البغال
والجمال ، أما هذا العصر عصر الذرّة ، والصاروخ ،
وأبولو ، وهذا دليل واضح على تقدّم الفكر والعقل
الانسانيين ، وأنتم - بحكم إيمانكم بالتطور كأصل ثابت من
أصول الديالكتيك - مدعوّون إلى إعادة النظر في كل الأفكار
والايدولوجيات التي كانت سائدة في عصر ماركس بما فيها
الايدولوجية الماركسية .

لأن « الفكر » - كما تقول الماركسية - وليد المخّ ، وبما
أن المخّ كائن مادي ، فإن الفكر - المتولد منه - يكون مادياً
أيضاً ، وإذا كانت الماديات في تطوّر مستمر ، فإن الفكر
يكون - لا محالة - في تطوّر مماثل .

وهذا يقضي بلزوم نفس الايديولوجية الماركسية كلما
تطور الفكر الانساني ليتاح له فرصة إنتاج ايديولوجيات أكثر
تطوراً وحداثة .

قال : الواقع انني قرأت الماركسية ، فأمنت بها ، ولا
أرى أية حاجة الى قراءة المبادئ الأخرى .

قلت : أظن أننا نتفق - مهما اختلفنا - على شيء واحد
هو : أن الحق لا يتجزأ ، أعني أنه لا يمكن أن تكون
الايديولوجيات المتناقضة كلها على « حق » - مثلاً - أن يصل
الذي يسير باتجاه الشرق قاصداً بيروت ، والذي يسير باتجاه
الغرب قاصداً بيروت أيضاً ، لا يمكن أن يصل الى بيروت
إلا واحد منها فقط .

فإذا اتفقنا على الهدف وهو الحق ، وكان كل منا يسير
باتجاه معاكس للطريق الذي يسير فيه الآخر : أليس من
الأفضل أن نبحث - بموضوعية - عما إذا كان الطريق الذي
نسلكه سيوصلنا الى الهدف ، أم لا ؟ .

أنت لا تدعي أنك عبقرى من العباقرة وأن لك
حاسة سادسة تكشف لك الأمور بلا حاجة إلى البحث عن
أي برهان . وحتى لو ادعيت ذلك فلا يمكن أن تدعي أنك
في غنى حتى عن مجرد التفكير .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لا نجلس على مائدة
واحدة لنبحث عن الايديولوجية الصحيحة ، والمفروض أن
لايديولوجية الصحيحة هي واحدة لا أكثر؟؟

وأضفت :

« إنَّ أُولَى المآخذ على الماركسيين أنهم لا يطالعون - أو
لا يريدونهم أن يطالعوا - آية ايديولوجية أخرى تتناول الحياة ،
والتاريخ ، والانسان سوى الايديولوجية الماركسية » .

وهذا يعني أنهم يحاولون اعتناق مذهب معين عن
طريق جهل المذاهب الاخرى .

والذي ندعو إليه - نحن المؤمنين بالله - هو أن يفتح
كل إنسان نوافذ قلبه وجوارحه على « الحق » للتمسك به
أيضا وُجد . ندعو إلى التفتح على الواقع ، لا الانغلاق على
النفس ، وهذا ما أريده منك .

قال : سأبحث في الأمر .

وتخلّص مني بسرعة !!

إنَّ السؤال المطروح أمامنا اليوم - أكثر من أي يوم
آخر - هو : هل باستطاعة الماركسية أن تحلّ مشاكلنا
الفردية ، والاجتماعية ، والفكرية - كما يزعم

الماركسيون -؟!

الحقيقة : أنه لا يمكننا الإجابة على ذلك نفيًا ، أو إثباتًا ، إلا بعد أن نستعرض أصول الماركسية استعراضاً عاجلاً لنرى مدى صحتها ، ومدى ملاءمتها لذات الانسان ، وفطرته ، ومدى تطابقها مع الواقع .

إنّ الماركسية - كما نعرف - تعتمد أكثر ما تعتمد - على « المنطق الديالكتيكي » ، ويعتبر هذا المنطق بمثابة « نظارة » للماركسية تستعملها كلّما أرادت تفسير ظاهرة اجتماعية ، أو طبيعية ، أو وجودية !

ويتشكّل هذا المنطق من أصول أربعة :

أولاً - أصل التطوّر .

ثانياً - تناقضات التطوّر .

ثالثاً - قفزات التطوّر .

رابعاً - الارتباط العام .

وفي الصفحات القليلة القادمة ، سوف نناقش هذه الأربعة بكثير من الإيجاز .

أصول الديالكتيك

أولاً - حركة التطور

وتشرح لنا الماركسية هذا الأصل بقولها :

- « إنّ الطبيعة ، بما فيها من الحوادث والأفكار ، ليست في حالة سكون وجمود ، بل في حالة تجدد وتطور لا ينقطعان ، وان فيها دائماً شيئاً يولد ويتطور ، وشيئاً ينحل ويضمحل .

ولذلك فإنّ الماركسية لا تكتفي بالنظر الى الحوادث من حيث علاقات بعضها ببعض بل من حيث حركتها أيضاً»^(١) .

ومن حقنا أن نناقش هذا الأصل من النواحي التالية :

(١) ننقل هذه النصوص من كتاب : « المادية الديالكتيكية » و« المادية التاريخية » و« البيان الشيوعي » و« أسس اللينينية » .

واحد : أنّ هذا الأصل ليس شيئاً جديداً تضيفه
الماركسية إلى الفكر الانساني ، فقد كان « هرقليط » (٥٠٠
سنة قبل الميلاد) يشبّه العالم بنهر جار لا يستقرّ منه جزء على
حالة واحدة .

كما أنّ « طالس » (٤٠٠ سنة قبل الميلاد) كان يعتقد
أنّ العالم ليس جامداً ، وإن أصل التطوّر فيه أصل ثابت .

وكان « ديمقراطيس » (٣٤١ قبل الميلاد) يرى أنّ
أصل التطوّر حقيقة لا يمكن إنكارها^(١) .

إثنين : أنّ قانون التطوّر لا ينكره المنطق الإلهي ، بل
يؤكّده ، وهو ينسجم مع العقل والتجربة ، ولكن بشرطين
أساسيين :

الأول - أن يربط التطوّر بالإرادة البشرية . فالأمور
سواء منها الاجتماعية ، أو السياسية ، أو العلمية تتطوّر إذا
أراد الإنسان ذلك .

فإرادة الإنسان شرط ، للتطوّر . أمّا إذا أراد الانسان
التراجع ، أو لم يعمل من أجل التطوّر شيئاً ، فلا يتطوّر
شيء .

(١) حوار في الفكر الماركسي .

وهنا محلّ اختلاف بيننا وبين الماركسيين : إنهم يلغون إرادة الانسان ، ويعتبرون التغيير وفق ما يقولون تغييراً جبرياً ، حتمياً ، لا إرادياً .

وقد رأينا في كثير من المناطق أن منطقهم تعرّض لنكسة بسبب إرادة الانسان .

إنّ ماركس تنبأ ، بالاعتماد على الحتمية التاريخية ، بأن الثورة الشيوعية لن تندلع من مجتمع متخلّف ، وإنّما من مجتمع صناعي رأسمالي ، في إنجلترا وألمانيا . فكذبت نبوءته ، وخرجت الشيوعية من مجتمع زراعي متخلّف مثل الصين .

وتنبأ أيضاً باتساع شقّة الخلاف بين البرجوازية والبروليتاريا في الدول الرأسمالية بشكل مضطرد الى أن يتفاقم الوضع الى ثورة تقلب النظام الرأسمالي كله ، ولكن الذي حدث في المجتمعات الرأسمالية كان العكس ، وهو مزيد من التقارب بين الطبقات .

وتنبأ بأشياء كثيرة ولكنها لم تحدث ، لسبب بسيط هو أنّه نسي العامل الارادي ، وان الإنسان لا تجوز فيه الحتمية لأنّ الناس ليسوا كرات بلياردو تتحرّك بحتمية قوانين فيزيائية ولكنها مجموعة إرادات حرّة تدخل في علاقات معقّدة يستحيل فيها التنبؤ ببناء أعلى قوانين مادية وأصدق مثل على

كذب دعوى الحتمية ، هو ثورة الإنسان على واقعه ، بدل الخضوع له .

إنّ الإسلام يؤمن بالتطوّر المسبّب عن الإرادة البشرية بل أنّه يقول عن الله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١) . ولذلك فهو لا يلغي إرادة الإنسان ، بل يشحذها ، قائلاً له : « من استوى يوماه فهو مغبونٌ ، ومن كان آخر يوميه شرّاً فهو ملعونٌ » . ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى نقصان ومن كان إلى نقصان فالموت أولى به^(٢) .

الثاني - إنّ التطوّر ليس في كل شيء ، فالأفكار والمعرفة البشرية والحقائق العلمية ثابتة .

إنّ التطوّر محصور بالمادة ، في حدود إرادة الله ، وإرادة الإنسان ، ولكن الماركسية تعمّمه على كل شيء حتى على الأفكار . وتقول في ذلك :

- والفكر لم يخلق المادة ، وإنّما المادة هي التي أنتجت الفكر^(٣) .

(١) سورة الرحمن آية ٢٩ .

(٢) كيف تربح الحياة

(٣) انجلز : « فوريباخ ونهاية الفلسفة الألمانية » .

وتقول :

- « عقل الإنسان ليس هو الذي يخلق له طراز معيشته وإنما طراز المعيشة هو الذي يخلق للإنسان عقله ^(١) .

ربما وقعت الماركسية ، في هذه الغلطة الكبيرة لكي تفسّر ظهور الأديان وفق فلسفتها الطفولية .

ولكن الحقائق الدامغة ، كلّها جاءت لتُفند هذا الأمر وإليك بعضها :

أولاً : هناك سلسلة من الأصول الفكرية الثابتة التي لا يشكّك فيها إلا صاحب عقلية الغاب ، وهي غير قابلة للتغيير والتبديل ، ككثير من المسائل الرياضية ، والفيزيائية ، وما شابه ذلك .

فهل يمكن أن تتغير المعادلة الرياضية التي تقول : إن حاصل جمع عددين متساويين يساوي ضعف أحدهما ، مثل $٤ + ٤ = ٨$ ؟ هل يمكن تبدّل النتيجة إلى ١٢ - مثلاً ؟

أم هل يمكن أن تتبدّل قوانين انعكاس الضوء ، وقوانين انتشار النور ، وقوانين الجاذبية ، وقوانين تركيب الأوكسجين ، وقوانين الحرارة ؟ .. الخ

(١) كارل ماركس: « مساهمة في نقل الاقتصاد السياسي » .

ثانياً : إنّ التجربة البشرية أثبتت وجود قوانين ثابتة لا تتغير ، مثلاً يقوم علم طبقات الأرض ، وعلم طبقات الجوّ على أصول ثابتة ، وقد تمكّن العلماء بالاعتماد على هذه الأصول من اكتشاف كنوز الأرض كآبار البترول ، واستخدام طبقات الجوّ في الطيران وما شابه ذلك ، ولو كذبنا « ثبات هذه الأصول » فأنّه يقتضي أن نكذب اكتشاف البترول ، وطيران الطائرات والصواريخ مع أننا نعيش اكتشاف ذلك طيلة العمر ؟

ثالثاً : إنّ الماركسية - كما نعرف - تعتمد على « المنطق الديالكتيكي » والمنطق - أيّ منطق - لا يمكن أن يكون منطقاً إلا إذا قام على طريقة خاصة في التفكير ، أي على قواعد معيّنة ثابتة ، ولو اعتبرنا هذه القواعد غير ثابتة فأنّه يعني أن المنطق الديالكتيكي الذي كانت الماركسية تعتمد عليه سابقاً ، وتعتبره صحيحاً ١٠٠٪ لا بدّ أن يكون قد انقلب اليوم ، وبعد مرور أكثر من قرن ونصف عليه ، إلى منطق باطل ١٠٠٪ وهذا على الأقلّ ما يحاول الماركسيّون أنفسهم البرهنة على خلافه ويطلبون من الناس أن يعتقدوا بأن المنطق الديالكتيكي لا زال صحيحاً ، وسيظلّ صحيحاً حتى الأبد .

فكيف كان كل شيء متغيراً حتى الأفكار والعقائد إلا

ما يعتقد به الماركسيون ؟ .

أليس ذلك نوعاً من التناقض مع الذات ؟

رابعاً : إن الماركسية تعتمد على « قانون التطور » كأصل ثابت لا يمكن أن يتغير .

إذن فهي تعترف بوجود قوانين ثابتة ، ويكون البحث حينئذ في معرفة : « ما هي القوانين الثابتة ؟ » لا في وجود القوانين الثابتة أي : هل هناك قوانين ثابتة ؟

ولو اعتبرت الماركسية نفس « أصل التطور والحركة » خاضعاً للحركة والتطور باعتباره نتيجة فكرية ، والنتائج الفكرية متطورة لأنها مادية ، فإنه يعني : ان أصل الحركة والتطور ليس أصلاً ثابتاً ، وأنه قد يتبدل الى « أصل الثبوت والجمود » بدل « أصل التطور والحركة » - بحكم التطور الى الضد - وهذا يقتضي أن تكون الحقائق التي كانت متطورة بالأمس ثابتة اليوم .

وفي كلا الحالين تكون الماركسية مضطرة الى الاعتراف بوجود حقائق ثابتة !

والواقع فان الماركسية حينما آمنت بهذا « الأصل » الواهي ، فإنما فعلت ذلك لكي تستند إلى « شيء ما » في نفس القيم الدينية والأخلاقية ، لأنها فسرت الحقائق الدينية

بأنها نتائج الفكر ، وما دام الفكر هو بحدّ ذاته نتيجة للمادة ، والمادة متطوّرة غير ثابتة ، فالحقائق الدينية يجب أن تتغيّر ، ولا تبقى ثابتة .

ولكن الماركسية نسيت ، وهي تتبنّى هذا الأصل ، أنها تضع مسماراً في نعش نظريّتها ، لأنّ الماركسية - بناءً على هذا - أيضاً يجب أن تتغيّر ، وتبدّل ، لأنها هي الأخرى نتيجة فكرية ، والفكر نتيجة مادية ، والمادة متطوّرة .

فكيف تطالبنا الماركسية بالكفر بالقيم ، والعقائد ، والقواعد الدينية ، وتطالبنا بالإيمان - حتّى الأبد - بقيمها ، وعقائدها ، وقواعدها .

هل تؤمن بأنّها نتيجة « الوحي » الذي لا يتغيّر ، وان ما جاء به الدين هو نتيجة الفكر ؟

أم ماذا ؟

ثم إذا كانت الماركسية تؤمن بأنّ « القيم الأخلاقية » تتطوّر ، وعلينا أن لا نؤمن بها دائماً ، فهل تستطيع أن تقول لنا كيف نثق مثلاً بالنظم التي تتبنّى الماركسية في علاقاتنا معها ؟

إنّ « الصدق » و« الالتزام بالحق » و« عون الضعيف » كلّها خرافات ، أو نتائج فكرية قابلة للتطوّر في رأي

الماركسية ، فكيف نستطيع أن نعرف أنّ هذا الحزب الماركسي أو النظام الماركسي « صادق » في موقفه وأنّه « ملتزم » بمسؤولياته ، واتفاقياته ، وأنّه مستمر في دعم « الضعيف » ، وكيف نثق به ؟

إنّ في الإنسان وجداناً يميّزه عن باقي الكائنات ، وهو بمنزلة البوصلة التي ترشده إلى الاتجاه الصحيح ، ويمكننا الاعتماد على هذه البوصلة للتعرف على ما هو « ثابت » وما هو « متغيّر » .

فالحياة فيها خطّان :

خطّ ثابت .

وخطّ متغيّر .

فمبادئ الحقّ ، والعدل ، والصدق ، والوفاء ، وكل القيم الدينية هي مبادئ ثابتة لا تقبل التغيّر في أيّ زمان ومكان ، وهي مبادئ الانسان التي تدفعه إلى الارتقاء والتكامل ، ولا يمكن أن يكون لها تأثير عكسي .

وإن الحقائق العلمية ، والمفاهيم الدينية لا تخضع لقانون التطور ، لأنّها من القوانين التي ثبتت صحتها مائة في المائة ، والحقائق لا تنقلب الى « خرافات » مهما طال الزمن ، وتعاقت الأجيال .

هذا ما يقوله الوجدان الإنساني .

أما الخطّ المتغيّر ، فهو في الأمور المادية للإنسان ، أي
في مسكنه ، في ملبسه ، في مطعمه ، في تطوّر الآلة ، في
الارتقاء ، وعدم الارتقاء الروحي .

ثانياً - تناقضات التطور

وتشرح لنا الماركسيّة هذا الأصل بقولها :

- « إن كل شيء - حتى الحوادث التاريخية - تزخر بتناقضات داخلية ، وفيها - دائماً - عناصر تضمحل ؛ وعناصر تتطور ، وهذا التناقض هو الذي يدفع بالأشياء الى الحركة والجريان المستمر ، لأنّ الأضداد ، والنقائص الموجودة في داخل الشيء الواحد ، تجلب حتماً صراعاً مريعاً لكسب المعرفة .

ومن هنا ينبثق التطور^(١) .

ولنا أن نناقش هذا الأصل بما يلي :

واحد - لا شك في وجود صراع في هذه الدنيا ، ولكنه ليس صراعاً في الوجود كلّه ، وأنما هو صراع الارادات البشرية ، أي صراع الحقّ والباطل ، صراع الهوى

(١) المصدر السابق .

والعقل . وهو صراع خاص بالبشرية . أمّا أشياء الحياة الأخرى ففيها التعاون وليس التناقض .

هل الشمس تتناقض مع القمر ؟ مع بقية النجوم ؟

هل الماء ، يتناقض مع التراب ويتصارع معه ؟

هل النباتات تتصارع مع الهواء ؟

إن كل ما في الكون يدلّ على تعاون عميق بين أجزائه من أصغر ذرّة إلى أكبر مجرّة .

ضع نواة شجرة في داخل التراب ، ثم لاحظ بالميكروسكوب ماذا تعمل الذرات الموجودة هناك ، وكيف تتعاون كل قوى الطبيعة مع بعضها البعض لإغنائها .

تُرى أين هو الصراع ، والتناقض في ذلك ؟

إثنين - أنّ التناقض إذا كان هو السبب في التطور فهل تستطيع الماركسية أن تحلّه ؟ أو أنّها تريده يستمرّ ؟

وماذا يعمل المجتمع الماركسي : هل سيعيش على التناقضات هو الآخر ؟ أي يحمل المجتمع الماركسي في عمقه مجتمعاً « ضدّ ماركس » بحيث يحقّ لنا أن نتنبأ بأن مستقبل المجتمعات الماركسية هو مجتمعات ضدّ ماركسية ؟

هل يسمح لنا الماركسيون بهذا التفكير ؟

ثالثاً - قفزات التطور

تشرح الماركسية هذا الأصل بقولها :

... إن لكل شيء إنقلاباً مفاجئاً الى ضده ، وذلك بفعل العوامل الداخلية والتناقضات الذاتية .

« فالبيضة مثلاً تتفاعل فيها القوى المتناقضة حتى إذا وصلت الى مرحلة خاصة انقلبت الى الفرخة فجأة ، والماء إذا بلغت درجة الحرارة فيه إلى مائة درجة يتحول فجأة الى بخار »^(١) .

ولنا أن نناقش هذا الأصل بما يلي :

واحد - إن الماركسية تتجاهل في هذا الأصل العلم والتجربة والواقع الملموس .

(١) المادية الديالكتيكية .

مثلاً - مثال البيضة التي تتحوّل الى فرخة ، والماء الذي يتحوّل الى البخار : كلنا يعلم أنّ الحرارة الخارجية ، لا تناقضات المحتوى الداخلي ، هي السبب في تحوّل البيضة الى الفرخة ، ولولا الحرارة الخارجية لبقيت على حالها . .

وكذلك في الماء . . فان الحرارة الخارجية هي سبب تحوّنها الى بخار ، ولولاها ل بقي الماء ماء . .

وبما أنّ في إمكان الإنسان أن يمنع من قفزات التطور بمنع العوامل الخارجية المؤثرة ، فان بإمكانه منع قفزات التطور الحتمية ، فلا تكون هذه القفزات إذن قانوناً أساسياً في الطبيعة .

إثنين - أنّ الثورة - وهي التغير والتحوّل - في الانسان نفسه - وهو مصبّ الفكر الماركسي - ليس لسبب صراع داخلي في اللاشعور - مثلاً - بل بسبب صراع خارجي في المجتمع الاستغلالي . .

فهل يا ترى أنّ الذين يشورون على واقعهم يفعلون ذلك لوجود صراع نفسي فيهم ، أم لوجود صراع مع قوى الاستغلال ؟

ثلاثة - إن مشكلة الماركسية تكمن في نقطتين أساسيتين :

الأولى - أنها تريد أن تكون شمولية تجارب على كل شيء ، وتفتي في كل شيء ، من علم التاريخ ، إلى وجود الانسان ، ومن قوانين الحرارة الى حركة سير المجرة . وهذا شمول مقصود في النظرية ، حتى يكون تابعها ممثلاً بكل غث وسمين ، فلا يكون فيه فراغ لرأي مخالف ، أو وجهة نظر منافسة ، وبذلك يتمّ تعبئته بشكل كامل للأغراض المختلفة .

الثانية - إنّ الماركسية تأخذ مثلاً واحداً من التاريخ ، أو من أشياء الحياة ، ثمّ تبني عليه حكماً كلياً عاماً شاملاً في كل شيء .

مثال البيضة والفرخة ، ومثال الماء والبخار ، بالإضافة الى أنّها كانا باطلين ، فهما مثالان فقط حدث فيهما انقلاب مفاجيء - حسب فهم الماركسية - ولا يجوز أن نجعلهما مصدراً لحكم كليّ ، ونبني عليهما أموراً اجتماعية ، وفلسفية وإنسانية . لأنّ ذلك تجاهل لأكثر التحوّلات التي تقع بصورة تدريجية كالأمور التالية :

١ - «نمّوا الإنسان» من جنين ، إلى طفل ، إلى شاب ، إلى كهل ، إلى شيخ . كل ذلك يحدث بصورة تدريجية وليس قفزية .

٢ - التحوّلات الطارئة على الأشجار والنباتات وما شابه ذلك .

٣ - التحوّلات التي مرّت بها العلوم التجريبية كالطبّ والهندسة وأمثال ذلك .

٤ - على فرض قبول نظرية الانقلاب المفاجيء ، فإن قبولها عن طريق العوامل الداخلية تكذّبه الحقائق التاريخية لنفرض أن تحوّلات حدثت في « علم الفلك » ولكن حتّى لم يكن ذلك بفعل التناقضات الداخلية ، بل لاخترع الآلات والمراصد الحديثة .

أربعة - لا شكّ ان الماركسية إنّما يعينها في هذا الأصل « الوجه الاجتماعي » لها ، فهي تريد أن تفسّر حركة التاريخ على أساس التطور حسب التناقضات الطبقيّة .

وتريد أن تقول : ان الماركسية تسعى لاذابة التناقضات وصنع مجتمع لا طبقي ، متساو . .

وهي بذلك تناقض « حركية الحياة » فالنتيجة الطبيعية لهذا التصرّو الخاطيء هو وصول البشرية الى مرحلة السكون والجمود بعد القضاء على صراع الطبقات لأن هذا الصراع - حسب النظرية الماركسية - هو عامل التطور والحركة ، فاذا قضى على هذا الصراع وانعدمت الطبقيّة فلا مبرّر - بل ولا

إمكانية - للتطور والحركة .

فالصراع الطبقي الذي انتهى في المجتمع الشيوعي والتناقضات التي اختفت ، اختفى معها أيضاً العنصر الديناميكي في التاريخ ، ولم يعد هناك أي قوة باقية للتغيير ، فهنا يقف دولا ب الحياة الاجتماعية ، ويقف كل سباق ، وتفقد الحياة كل تحدي ، وبذلك تفقد أيضاً كل استجابة ، لأنها فقدت الحركة نظراً لأنها خلت من التناقضات ، الحركة هي كما تقول الماركسية هي حصيلة التناقضات داخل المجتمع وليست حصيلة الارادة - كما يقول الدين - . وهكذا تصبح الحياة المجتمعية ستانكيكية محضة ، أي رتيبة الرقابة المطلقة ، الأمر الذي ينتهي بالمجتمع وأبنائه إلى السأم والملل أي الى الأخذ بالمذهب الوجودي المادي ، أي بمذهب العبثية ، والعدم ، عبثية البيركامو ، وعدمية جان بول سارتر .

فالتاريخ قد انتهى ، والحياة قد أصبحت انتظاراً للموت والناس بطبيعتهم يكرهون الانتظار ، لذلك فليس من سبيل إلا الانتحار - كما دعى الى ذلك كامو - !

خمس - إذا كان التناقض الداخلي ، هو علة العلل في التطور ، فلماذا جدد الأنظمة الماركسية هذا التناقض في

المجتمعات التي تحكمها ؟

لماذا تمنع من انتشار الفكر الاسلامي مثلاً ؟

انّ أكبر خطأ ارتكبته الماركسية بحق البشرية ، هو أنّها اتخذت الديالكتيك حقيقة مطلقة ولا نهائية للعالم ، وتبنّته الدولة مذهباً رسمياً ، واعتبرته فوق كل جدال ، ومناقشة ، وجعلته المرجع الأعلى الذي يجب اخضاع كل علم ومعرفة له ، وضرب كل فكر وجهه لا ينسجم معه ، ولا ينطلق منه .

وهكذا أصبحت المواهب ، هنالك أسيرة قنوات معينة ، لا يجوز أن تنطلق منها .

وبذلك : قتل الفكر الانساني ، يوم قتلت الحرية في إيمان الانسان بما يراه صحيحاً ! .

رابعاً - قانون الارتباط العام

وتشرح الماركسية هذا الأصل بقولها :

- أن كل جزء من أجزاء الطبيعة ، بما فيها الأحداث ، مرتبط ارتباطاً عضوياً بالأجزاء الأخرى ، وأن كل حدث إنما هو انفعال لأحداث أخرى ، وأن هناك تأثيراً متقابلاً في أجزاء الطبيعة .

« ولذلك فلا يمكن أن تدرس الطبيعة حال فصل بعضها عن بعض ، وتجريد ذلك البعض عن ظروفه وشروطه وعمّا يرتبط بواقعه من ماض وحاضر »^(١) .

والواقع فإن هذا الأصل ثابت بالعلم والتجربة والبرهان ولكن أولاً - ليس من اكتشافات الماركسية ، بل

(١) المصدر

ان الفلسفة الإلهية سبقت الماركسية بعدة قرون .

فآيات القرآن تصرّح بوحدة الكون والحياة والانسان .
وثانياً - ان هذه « الوحدة » الرائعة في الطبيعة لدليل قاطع
على وجود « خالق واحد » لها . .

تماماً كما ان ترابط أجزاء السيارة الواحدة ، دليل قاطع
على ان المصنع واحد . .

والإسلام يذهب إلى أبعد ممّا قالته الماركسية حيث
يقول ان أصل كل شيء من مادة واحدة : ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ
دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾^(١) .

ويقول - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
الْمَصِيرُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ
رُكَّاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ
يَشَاءُ يَكَادُ سُنْبًا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ . يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٢)

(١) سورة النور آية ٤٥ .

(٢) سورة التوبة آية ٤١ - ٤٤ .

ويذهب الإسلام إلى أنّ لنية الناس ، ارتباطاً عميقاً
بمصيرهم ، ولذلك يعتبر « الظنّ السيّء » والنية الشريرة
إثماً ، ويقول : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١) .

(١) سورة الحجرات آية ١٢ .

أصول الفكر الإسلامي

أولاً - هدفية الإنسان المتحرك

ويشرح الإسلام هذا الأصل بقوله :

- « ان وجود الإنسان ، إنما هو لهدف معين . فهو يأتي من دون اختيار منه ، ثم يموت من دون اختيار منه أيضاً .

فلماذا جيء به الى هذه الدنيا؟

لا بد أن يكون لوجوده هدف محدد . إذ لا يعقل أن يكون كل جزء في الإنسان - وفي الحياة أيضاً - إنما وجد لهدف معين ، مثلاً آية « غدة » في جسم الانسان إنما تؤدي هدفاً معيناً . وكذلك آية خلية ، بينما الإنسان نفسه وجد من دون هدف ؟!

ان الذي جاء بالانسان ، ويذهب به ، إنما استهدف شيئاً من وراء ذلك .

فما هو هدف وجود الانسان ؟

الهدف هو : أن يرتقي الانسان . أن يرتفع . أن يتخلق بأخلاق الله .

يقول القرآن : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْهِ﴾^(١) .

ولكن رقيّ الإنسان وارتفاعه ، لا يأتي بحكم الجبر والحتمية . وإنما بحكم الارادة الفاعلة . فعلى الانسان أن يرتقي في حركته الدائمة . عليه أن يصعد . ﴿لا إكراه في الدين ، قد تبين الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢) ومن يرفض أن يرتفع يسقط .

فالانسان المتحرّك ، لا بدّ أن يضع حركته في خدمة إرادته ، ويحاول الارتقاء والتطوّر .

يقول الحديث الشريف : « من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون . ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان ، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة »^(١) .

(١) سورة الانشقاق آية ٦ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥١ .

(٢) كيف تربح الحياة .

ويقول القرآن : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ (١) .

والإنسان هو الذي يصنع مجتمع ، وظروفه .

صحيح ان للظروف تأثيراً على الانسان ، ولكن يبقى الانسان قادراً على الثورة على ذاته ، ومن ثم الثورة على ظروفه .

فكم من أبناء الاروستقراطيين ثاروا على واقعهم ، وعاشوا مع الفقراء ؟

وكم من أبناء الفقراء عملوا العكس ؟

ولهذا : فَإِنَّ أَهَمَّ مَا يَطَالِبُنَا بِهِ الْإِسْلَامُ : أَنْ نَحْرَرَ إِرَادَتَنَا : « لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ ، وَقَدْ جُعِلْتَ حُرّاً » . « إِنَّ اللَّهَ أَوْكَلَ إِلَىٰ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ كُلَّ شَيْءٍ وَلَمْ يُؤْكَلْ إِلَيْهِ أَنْ يَذَلَّ نَفْسَهُ » .

ان على الانسان الذي يرى وجوده محدداً بين الولادة - الموت ، أن يحقق الهدف من وجوده ، وبداية ذلك ان يعرف من أين جاء ؟ وإلى أين يذهب ؟ ولماذا كان هنا ؟

(١) سورة الرعد آية ١١ .

وفي الحديث : « رَحِمَ اللهُ مَنْ عَرَفَ : مَنْ أَيْنَ ؟ وفي
أَيْنَ ؟ وإلى أين ؟ » .

ثانياً - الكون وحدة متكاملة وخالق واحد

ويشرح لنا الإسلام ذلك بقوله :

- « إن الكون مخلوق لله . وكل الدلائل تشير إلى وجود ترابط بين أجزائه ، حتى ان العلم الحديث اكتشف ان وجود الانسان يرتبط بوجود ريش الحمام ، لأن الحمام إذا لم يكن له ريش ما استطاع أن يطير ولو لم يستطع الطيران لم يستطع أن يعين هوام الفضاء ، ولو لم يعين الهوام تكاثر بشكل غريب ، ومن ثم قضى على وجود الانسان .

وهذا الترابط دليل وحدة الخالق ، وليس وحدة الخلق .

والله الذي خلق الكون : خلقه لهدف وهو خدمة الانسان - باعتباره الكائن الوحيد الذي له حرية الاختيار - فكل ما في الكون للإنسان . أما الانسان فهو لله ، بمعنى أنه خلق ليرتقي الى الله في خلقه وإرادته الخيرة .

ثالثاً - برامج لمساعدة الإنسان

ويشرح لنا الإسلام ذلك بقوله :

- « بما أن الإنسان يولد جاهلاً بكل شيء حتى بطريقة الأكل والمشى ﴿والله أخرجكم من بطن أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾^(١) فإن الانسان بحاجة الى مساعدة الله له ، لكي يستطيع أن يرتفع ، ويتطور .

ولهذا أرسل الله رسالته الى الانسان ، عبر مختلف عصوره . وهذه الرسالة إنما هي عبارة عن برامج حياتية تكفل - إذا عمل بها الإنسان - سعادته في هذه الحياة ، وفي القسم الآخر من حياة الانسان المستور . . والذين حملوا هذه الرسالة هم الأنبياء .

وهذه المساعدة من الله ، تنسجم مع السبب الذي

(١) سورة النمل آية ٧٨ .

من أجله خلق الله الإنسان : وهو أن يرحمه ، وأن يسعده .
فالله خلقنا ليسعدنا .

ولكننا نجعل كيف نعمل حتى نسعد ؟

فأرسلنا له رسله ومعهم برامج للحياة السعيدة .

من هنا : كان لا بد من الاهتمام بالحياة الدُّنيا ، لأنها
موقع فرصتنا الأولى والأخيرة للسعادة . . بمعنى أن طريقتنا
في الحياة الدنيا ، ونجاحنا فيها هي الطريق الى النجاح لدى
الله .

من هنا يقول الاسلام :

- « ليس منّا من ترك آخرته لدنياه ، وليس منّا من
ترك دنياه لآخرته » . . .

ويقول :

- « مَنْ كَسَلَ عَنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ فَهُوَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ
أَكْسَلَ » .

ويقول :

- « إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لآخِرَتِكَ
كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا » .

رابعاً - الموت والحياة الأبدية

ويشرح الاسلام هذا الأصل بقوله :

« لا بدّ أن نموت . فكل من عليها فان . وكل نفس ذائقة الموت » .

« وجودنا الفاني على وجه الأرض ما هو إلا وجود مسافر في صالة « ترانزيت » وهذه الدنيا بأكملها ليست سوى قاعة انتظار كبيرة يحلّ فيها المسافر قادماً من المجهول ، ووجوده مؤقت ، عليه أن يستثمره في الجدّ لأنّه سرعان ما ينادون باسمه ، وحينئذ لا يملك إلا أن يطيع ، ليمضي إلى الأبد إلى حيث لا يدري » .

ألا إنّما الدنيا كمنزل راكب
أنّاخ عشياً وهو في الصبح راحل
أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام .

فالموت ليس نهاية . انه البداية للجزء المستور من
حياة الانسان في عالم آخر .

وهناك أمّا النعيم الدائم ، أو العذاب الدائم . إذ لا
اختيار هناك ، ونتائج عمل الانسان في الدنيا تتجسّد في
ذلك العالم بشكل أوضح وأكبر .

فالموت باب وكل الناس داخله
يا ليت شعري بعد الباب ما الدارُ!
الدار جنات عدن ان عملت بما
يرضي الإله وان قصرت فالنار
وبعد ..

تلك كانت أُسس الفكر الماركسي .

وهذه كانت أُسس الفكر الإسلامي .

وقد رأينا : أن الماركسية تتخبط في الظلام ، حيث
تسلب الانسان أهمّ ما فيه ، وهو « الإرادة » وحرية
الاختيار . وتجعله أسير الجبرية الاقتصادية وما تسمّيه بحركة
التطور .

بينما الاسلام يؤكّد على إرادة الانسان ، ويجعلها
المسؤولة عن التطور ، أو الانتكاسة .

والماركسية تكفر بالله الخالق رغم ان كل الأدلة العلمية والعقلية ، والوجدانية تؤكد وجوده . .

بينما الاسلام يؤمن به .

وماذا لو متنا ، ورأينا أن كل ما قاله الأنبياء كان صحيحاً ؟ هل تستطيع الماركسية حينئذ أن تنقذنا ؟

إنّ الماركسية عجزت في هذه الدنيا أن تخلق السعادة للإنسان . تماماً كما عجزت الرأسمالية عن ذلك . .

بينما تجارب الاسلام ، تؤكد أنه خلق المجتمع السليم المتعاون الذي سعد فيه الفرد ، والمجتمع . .

وكما حقّق الاسلام نبوءته في الدنيا ، سيحققها في الآخرة أيضاً .

وكما عجزت الماركسية أن تحقّق نبوءتها في الدنيا ستعجز عن ذلك في الآخرة . .

وسيكشف كل إنسان ذلك بنفسه .

هَارِي الْمَدْرَسِي

١٣٩٥ هـ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفتاحة	٥
أيها الرفاق : تواضعوا قليلاً !	٧
إفتحوا نوافذ قلوبكم	١٣
أصول الديالكتيك	١٩
أولاً - حركة التطور	٢١
ثانياً - تناقضات التطور	٣١
ثالثاً - قفزات التطور	٣٣
رابعاً - قانون الارتباط العام	٣٩
أصول الفكر الإسلامي	٤٣
أولاً - هدفية الإنسان المتحرك	٤٥
ثانياً - الكون وحدة متكاملة وخالق واحد	٤٩
ثالثاً - برامج لمساعدة الانسان	٥١
رابعاً - الموت والحياة الأبدية	٥٣